بسم الله الرحمن الرحيم

مراكز الثقافة القرآنية بالمغرب والأندلس خلال القرن الثامن الهجري

الأستاذ: حسن عزوزي
أستاذ بكلية الشريعة
بفاس

مقدمة:

من خلال تتبع النصوص التاريخية في شتى انواع المصادر يتبين وجود آثار للتعليم القرآني بمختلف المراكز الثقافية التي كانت منتشرة وذائعة الصيت في القرن الثامن.

والمقصود بالمراكز الثقافية القرآنية تلك المؤسسات التعليمية التي ثبت ان وجد بها تدريس القرآن الكريم وعلومه من قراءات وتفسير وغيرها او قراءة الحزب الراتب او كل ما يتصل بكتاب الله العزيز.

وقد كان لهذه المراكز دور فعال في بث الاشعاع القرآني في كل ارجاء المغرب والاندلس، خاصة في فاس التي استقطبت طلبة كتاب الله العزيز من كل صوب وحدب، نظرا لما كانت تتوفر عليه من مراكز ثقافية رائدة وأساتذة افذاذ.

وخلال القرن الثامن عرف المغرب والاندلس عدة مراكز ثقافية، وقد ركزت الحديث في هذا البحث على ما يلي:

1 - الكتاتيب القرآنية
2 - المدارس
3 - الكراسي العلمية بالمساجد
4 - الزوايا
5 - الرباطات

أولا : الكتاتيب القرآنية:

تعتبر الكتاتيب من اسبق انواع المعاهد التعليمية وجودا في العالم الاسلامي، والكتاتيب جمع كتاب، وهو مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة، ففي القاموس: المكتب والكتاب موضع تعليم الكتاب اي الكتابة، والجمع: الكتاتيب والمكاتب، والمعلم الذي يتولى التعليم يسمى بالمكتب او المعلم [1].

ويعود تاريخ انشاء الكتاتيب القرآنية إلى العهود الأولى من تاريخ الاسلام، فبمجرد ان تم الفتح الاسلامي بالمغرب رتب الولاة الفقهاء يعلمون النشء تعاليم الدين الاسلامي والقرآن الكريم، ومنذ ذلك الحين اصبحت الكتاتيب تتكاثر تكاثرا سريعا قويا [2]، وتتلقى دعما كبيرا من طرف السلاطين والحكام، على ما قرره ابن خلدون وغيره. ويدلنا على ذلك ان صاحب القرطاس قد عد ما كانت تتوفر عليه مدينة فاس في عهده من الكتاتيب [3]، والذي يقرأ رحلة ابن بطوطة يجد ذكرا كثيرا للحلقات التي التف فيها الاطفال في الكتاتيب حول معلم يعلمهم القرآن.

وفي القرن الثامن نجد الكتاتيب القرآنية قد بلغت مستوى رفيعا من حيث التنظيم والمواد المدروسة، وكانت تسند لرجال من الطبقة العالية. وكان المغاربة والاندلسيون واعين بهذا الدور الذي تؤديه الكتاتيب القرآنية، لذلك وفروها بكثرة لناشئتهم، فعمت بالحواضر والجهات البربرية، وانتعشت صناعة المؤدب والمكتب فاصبحتا مهنة وافرة الأجر [4]، ويشرف على الكتاب معلم قارئ حافظ للقرآن الكريم، وقد يكون متقنا لبعض القراءات واحيانا يكون من كبار القراء (امثال الخراز وابن آجروم).

وكانت اول مقررات برامج تلك الكتاتيب هو القرآن الكريم فقد كانت العناية به جد شديدة حيث يتم تلقينه وتحفيظه للناشئة من الصبيان ابتداء من سن مبكرة [5].

---

1. الفيروزآباي: القاموس المحيط 121/1

2. د. احمد شلبي: تاريخ التربية الاسلامية ص 20 406 - 408 :EI1 : T III: pp -

3. ابن ابي زرع : الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، طبع دار المنصور بالرباط 1973، ص 48.

4. لقد كان اخذ الاجرة على التعليم محل مناقشة واسعة عبر التاريخ، ينظر المدخل لابن الحاج ط 1972/2، 321/2 ومحمد بن سحنون : آداب المعلمين ص 90.

5. الحركة الفكرية في عهد السعديين 341/2.

وقد يبدأ المعلم باعراب بعض آياته وتفسير غريبه تفسيرا وجيزا وطريقة ترتيله وتجويده، كما يعلمهم مبادئ العلوم التي تعينهم على تفهم معاني كتاب الله تعالى [6].

ففي كتاب آداب المعلمين: «وينبغي له (اي للمعلم) ان يعلمهم اعراب القرآن وذلك لازم له والشكل والهجاء والخط الحسن والقراءة الحسنة والتوقيف والترتيل...» [7].

وقد انتقد الامام ابن العربي طريقة تحفيظ القرآن الكريم دون تعزيز ذلك بعلوم مساعدة على الفهم والاستيعاب [8] الا ان ابن خلدون قد فضل الطريقة المتبعة في سائر الديار بما فيها المغرب على الطريقة التي يقترحها ابن العربي، لانها الطريقة التي تلائم عقلية الطفل ويتقبلها مستواه الفكري [9].

ومن مظاهر الاعتناء والاهتمام بالكتاتيب انها كانت تزين بمناسبة الاحتفال بعيد المولد النبوي حيث تضاء بالشموع ويجتمع اطفالها لترديد الصلوات النبوية كما يتقدم احدهم ممن هو حسن الصوت لترتيل عشر من القرآن الكريم. وهذا ما يؤخذ من سؤال رفع للفقيه احمد بن قاسم القباب الفاسي في هذا الصدد. [10].

وهناك توضيحات لبعض نقط هذا الوصف وردت عند الحسن الوزان الذي تحدث في كتابه: «وصف افريقيا» عن فترة من تاريخ المغرب قريبة من المرحلة التي تهمنا. فقد ذكر انه عندما يتم الصبي حفظ القرآن الكريم يتم تسليمه شهادة خاصة بذلك، ويقام حفل عائلي [11]، وهذه الشهادة التي تدعى ب «التخريجة» هي في الواقع نص سورة الفاتحة التي يكتبها المعلم بيده على لوح، ويجعل لها اطارا مزخرفا، وتسمى عملية حفظ القرآن بأتمه (حذقة) فاذا حذق التلميذ القرآن فقد حفظه او مهر في حفظه.

وفي الاندلس كانت اول مظاهر التقدير للمعلمين ان لقب «معلم كتاب» قد اطلق

---

6. د. محمد اسعد طلس: التربية والتعليم في الاسلام، دار العلم للملايين ط 1957/1 ص 79.

7. آداب المعلمين تح محمد عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1969 ص 82.

8. المقدمة ص 418

9. المصدر السابق ص 449

10. الونشريسي: المعيار المعرب، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالرباط 1981 ج 12 ص 33 ويراجع في ترجمة القباب (ت 779) الديباج ص 41 ونيل الابتهاج ص 72 والسلوة 244/3.

11. وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر ط 1983/2 طبع دار الغرب الاسلامي 261/1.

عليهم وتصدر تراجمهم، وذلك دليل على مكانة هؤلاء، وفي كتاب الاحاطة في اخبار غرناطة نجد ابن الخطيب ينص على فضائل بعض المترجمين بذكرهم من بين المؤدبين والمعلمين، فقد وصف المقرئ احمد بن عبد الولي العواد بـ"الشيخ المكتب سابق الميدان" [12] واشار في الكتيبة الكامنة الى احمد بن عبد الملك العدوي قائلا: "وهو اليوم من معلمي الكتاب" [13].

اما عن تعليم البنات في هذه الفترة التي ندرسها، فلم نعثر على نصوص تاريخية تؤكد ان البنت في القرن الثامن كانت ترتاد الكتاب الى جانب الذكور، وكل ما عثرنا عليه، ما ورد في الاحاطة من ان نزهون بنت القليعي كانت تقرأ على ابي بكر المخزومي الاعمى [14].

واورد ابن قنفذ قائلا [15]" ورأيت منهم بفاس المرأة الصالحة مؤمنة التلمسانية، وكان الشيخ الصالح ابو الحسن علي بن عبد الوهاب المعلم لكتاب الله تعالى هو الذي يكتب لها لوحها ويبادر به".

فهذه النصوص تدل على ان تعليم النساء لم يكن منعدما تماما، الا انه يصعب تحديد ما اذا كان تعليمهن يتم في الكتاتيب القرآنية او في دورهن.

ثانيا : المدارس.

يعتبر انشاء المدارس في القرن الثامن من اهم المنشآت المرينية واكثرها عددا، وهو مما كان ينفرد به المغرب الاقصى في هذا العصر [16]، كما انه يعتبر من جملة المناقب التي حمدت لسلاطين بني مرين، نظرا لما قاموا به من جهود في سبيل تعميم انشائها في كل ارجاء المغرب، واستقطاب العلماء والفقهاء والقراء من اجل التدريس فيها.

---

12. الاحاطة 33/3

13. الكتيبة الكامنة ص 278

14. الاحاطة 324/3.

15. انس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي وادولف فور الرباط 1961 م 30.

16. ان بناء المدارس في المغرب امر لا نجده في المغرب الاوسط او الادنى، الا ما كان من المدرسة التي بناها ابو الحسن بتلمسان بقرب ضريح ابي مدين والتي تحدث عنها وليام وجورج مارسيه Marcais في دراستهما: Monuments arabes de Tlemcne (pp 270 - 278)

ً ففي سنة عشرين وسبعمائة: امر امير المسلمين ابو سعيد ايده الله، ببناء المدرسة بحضرته من فاس الجديدة، فبنيت اتقن بناء ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن، والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر...ً [17].

وفيما يلي ذكر لابرز المدارس المرينية التي كان تدريس القراءات والتفسير في مقدمة العلوم المدروسة بها:

1 - مدرسة الصهريج، وكانت تسمى بالمدرسة الكبرى كما في رخامة التحبيس التي لا تزال باقية إلى يومنا هذا، اسسها الامير ابو الحسن المريني عام 721، وتوجد غرب جامع الاندلس.

2 - مدرسة السبعيين [18] وتعرف بالمدرسة الصغرى تمييزا لها عن المدرسة الكبرى (مدرسة الصهريج)، سميت كذلك لانها كانت تدرس فيها القراءات السبع. وهو دليل قوي على مدى الاعتناء التام الذي عرفته المدارس المرينية بهذا العلم الجليل وقد اسست هذه المدرسة عام 721 كذلك، وكانت في حقيقة الامر ملحقة [19] بمدرسة الصهريج كما في رخامة التحبيس [20] والتي ورد فيها ما يلي: ًبسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، امر ببناء هذه المدرسة المباركة مع المدرسة الصغرى + المتصلة بشرقها [21] مولانا الامير ولي عهد المسلمين ابو الحسن... [ذكر لنص

---

17. الانيس المطرب بروض القرطاس ص 411

18. وقد حرف اسمها اليوم من ًالسبعينً الى ً السباعينً كما هو معروف عند السكان المجاورين لها وكما هو مكتوب على رخامة مغيرة بازاء باب المدرسة. ويبدو ان هذا التحريف يعود الى ما قبل القرن الحالي فالمستشرق الفرنسي ً الفرد بلً Alfred Bel في مقاله الآتي ذكره والذي نشره عام 1917 قد نص على اسم ًالسباعينً. وذكر الاستاذ محمد المنوني انها كانت تعرف كذلك باسم ًمدرسة الاساتيذً ورقات ص 27.

19. ويبدو حسب ما يتناقله سكان الحي - انه كان هناك ممر داخلي يربط بين مدرسة الصهريج ومدرسة السبعين، لكن لا اثر له اليوم والباب الوحيد للمدرسة (انظر الصورة) قد اغلق منذ مدة، ويمكن الوصول اليه عبر درب صغير كان يسمى في القديم درب اشنيخن (نسبة الى باب اسنيخن وهو من ابواب جامع الاندلس: انظر جامع القرويين للتازي 390/2)، ويسمى هذا الدرب الآن درب السباعين، وهو يمتد على طول الواجهة الغربية لجامع الاندلس، ويقابله درب ياسمينة. Voir Alfred Bel : Inscriptions arabes de Fes, in le journel Asientique - Juill - Aout 1917 p 258.

20. لقد كان بالامكان تصوير هذه الرخامة كوثيقة تاريخية لانشاء هذه الرخامة كوثيقة تاريخية لانشاء هذه المدرسة، الا ان قلة النور داخل المدرسة يعيق ذلك.

21. ذكر (بل Bel) في مقاله السابق ان هذه المتصلة بشرق مدرسة الصهريج هي عبارة عن سكنى لطلبة القراءات السبع، وكانت تعرف ًبدار الضيوفً (Maison d'hotes) او دار ً أبي حباسةً، اما اليوم فتعرف بدار الشيوخ وكانت تضم واحدا وعشرين غرفة، لا تزال آثارها قائمة الى يومنا هذا. A Bel: opcit p 216 وقد اخبرني احد الذين كانوا يدرسون بثانوية القرويين (الشراردة) للتعليم الاصيل وكان يسكن بالمدرسة، ان هذه الاخيرة لم تعد صالحة لايواء الطلبة منذ عام 1966. وبقيت منذ ذلك الحين تستقبل السواح الاجانب الى عهد قريب، حيث تم اغلاقها.

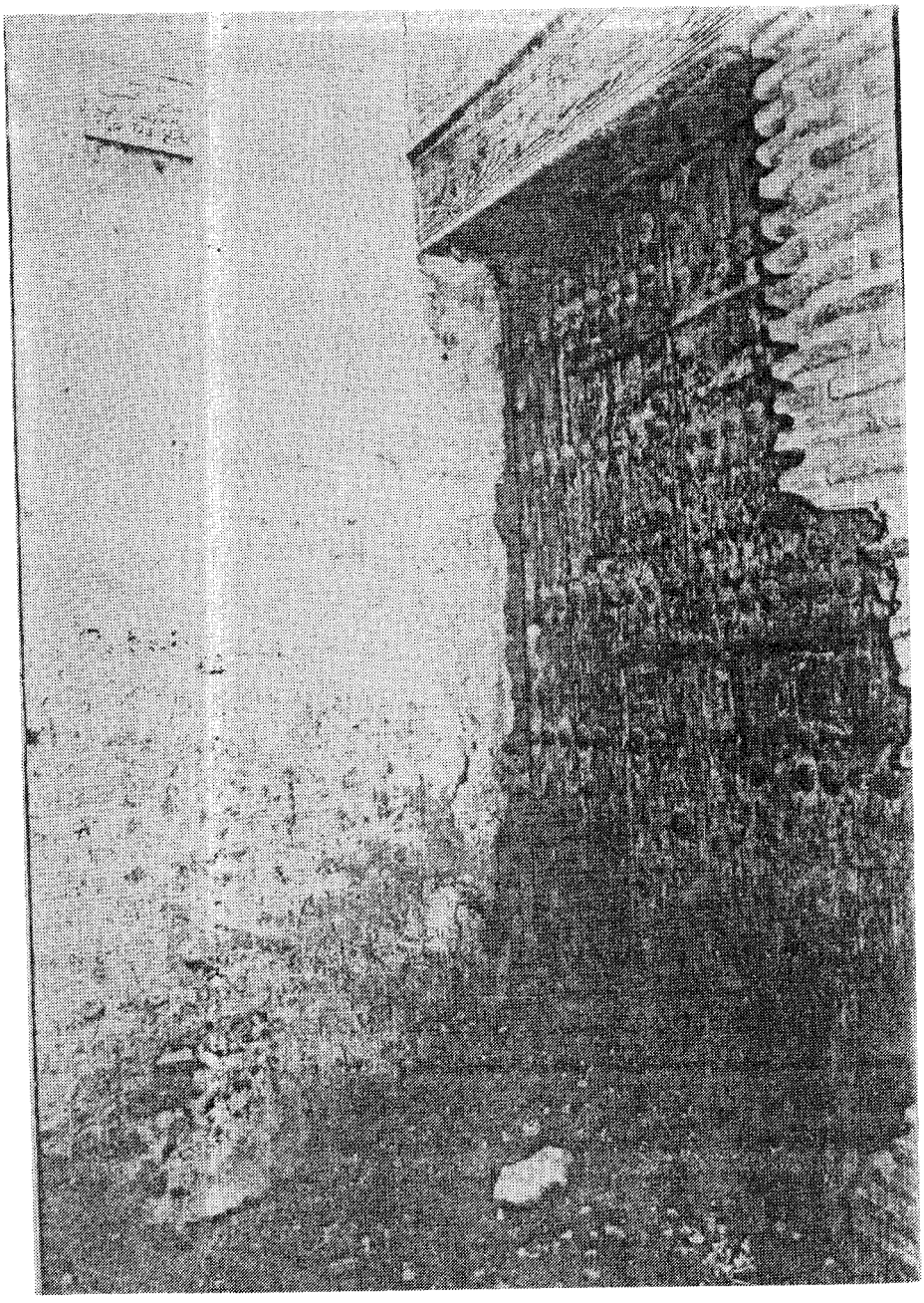

صورة باب مدرسة السبعيين بفاس، والتاريخ الذي تحمله الرخامة انما هو تاريخ ابتداء الإقراء فيها، اما تاريخ التأسيس فكان قبل ذلك بعامين.

التحبيس على المدرسة]... وابتدئ الاقراء فيها في شهر ربيع الاول من عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة.

ومن المؤسف جدا ان لا نجد معلومات كافية عن هذه المدرسة من حيث ذكر الاساتذة القراء الذين كانوا يدرسون فيها وطريقة التدريس التي كانت تزاول بها واعداد الطلبة الذين كانوا يرتادونها، اما من الناحية التاريخية فلعل ابرز من وقف على معالم هذه المدرسة ودرسها دراسة متعمقة المستشرق الفرنسي الفرد بل [22] الذي تمكن من تحديد موقع القاعة الكبرى التي كانت مخصصة لتدريس القراءات السبع ووصفها وصفا دقيقا.

3 - مدرسة العطارين: على مقربة من جامع القرويين، بنيت سنة 723. [23]

4 - المدرسة المصباحية بفاس من بناء ابي الحسن، وهي تحمل اسم اول اساتذتها وهو ابو الضياء مصباح بن عبد الله اليالصوتي (ت 750). [24]

5 - المدرسة البوعنانية: بنيت في عهد ابي عنان عام 757، وقد عرف من مدرسيها ابو العباس القباب (ت 778). [25]

6 - مدرسة الطالعة بسلا بناها ابو الحسن سنة [26]. 733.

وذكر ابن مرزوق [27] ان انشاء المدارس في المغرب لم يكن معروفا قبل المدارس المرينية، ويبدو ان معظم هذه المدارس قد انشئت في ظرف من الزمن لا يتعدى ستا وثلاثين سنة قبل ان يتوقف المشروع نهائيا عن النمو والاتساع [28].

---

22. يعتبر الفرد بل الى جانب هنري تيراس (Henri Terrasse) وابرز المؤرخين الذين اهتموا بمدينة فاس اهتماما بالغا، ولو لوها من عناية خاصة من حيث القيام بدراسات علمية متعمقة حول مساجدها ومدارسها ومعالمها الاثرية.

23. ورقات ص 82 وقد رجح (بل) ان يكون البناء من اوائل من درس بهذه المدرسة، حيث توفي في نفس عام بنائها. A Bel: La religion musulmane en Berberie, Pers T1 p 319 1938.

24. ترجمته في جذوة الاقتباس ص 218 ونفح الطيب 175/7 وسلوة الانفاس 56/2.

25. ترجمته في: الديباج ص 41 ونيل الابتهاج ص 72 والسلوة 244/3.

26. Archives Marocaines Vel 18 p 278

ومن جملة مدرسيها في العصر المريني، عبد الله العثماني المشهور بابن الصباغ السلاوي (ت 747) وعلي بن موسى المطماطي (ت 773) ومحمد بن عمران الفنزاري السلاوي المعروف بابن المجراد شارح الدرر اللوامع لابن بري.

الدكالي: الاتحاق الوجيز، تح مصطفى بوشعراء، مكتبة المعارف بالرباط 1986 ص 52.

27. المسند الصحيح الحسن ص 405.

28. د. محمد القبلي: قضية المدارس المرينية، في كتاب النهضة والتراكم، دار توبقال، الدار البيضاء ط 1986/1.

ولا شك ان هذا العدد الكبير من المدارس، كان الباعث من ورائه ايواء العدد الضخم من طلبة العلم الذين شهدهم العصر المريني، خاصة في القرن الثامن، حيث كانت سوق العلم نافقة، فقد ذكر احمد بابا انه: "كان الطلبة ايام ابي عنان المريني اعز الناس واكثرهم عددا واوسعهم رزقا." [29]

وعلاوة على الملوك، اعتنى الخواص والاعيان بتأسيس المدارس، منهم ابو الحسن الشاري السبتي (ت 649) الذي بنى المدرسة المنسوبة اليه بمدينة سبتة، ووقف عليها اوقافا من كتب وغيرها، والى جانبها كانت المدرسة الجديدة التي بناها ابو الحسن المريني [30]، وقد اشتهرت المدرستان خلال القرن الثامن بكبار المدرسين والمقرئين.

وهذه المدارس التي كانت بفاس وغيرها من المدن، كانت جميعها تشتمل على خزانة خاصة موضوعة لعموم المطالعين من الطلبة [31] كما كانت تتوفر على وظائف دينية وكراسي للاساتذة، وقد كان علم القراءات يحظى من بين باقي العلوم باهتمام متميز واعتناء كبير، يدلنا عليه انشاء مدرسة السبعيين من طرف ابي الحسن عام 721 والتي كانت خاصة بتدريس القراءات السبع، ولم تسعفنا المصادر بمعلومات عن هذه المدرسة ومن كان يدرس فيها من المقرئين.

وقد ذكر المرحوم الاستاذ محمد العابد الفاسي انه وقف على حسابات مختلفة للنظار الذين كانوا مكلفين بالنظر في المدارس السبع بفاس، حيث كان لاكثر تلك المدارس زيادة على وظائفها الدينية العامة وظيفة مؤقت واستاذ مقرئ ومدرس. [32]

اما في الاندلس فتعتبر المدرسة النصرية او المدرسة اليوسفية بغرناطة من اشهر مدارس الاندلس فس القرن الثامن الهجري، وقد طبقت شهرتها الآفاق [33] واستقطبت طلبة العلم من جميع ارجاء الاندلس، ودرس فيها كبار العلماء والقراء، بناها السلطان ابو الحجاج يوسف (733 - 755) بناء على مبادرة من حاجبه رضوان النصري عام 750 [34].

---

29. نيل الابتهاج ص 260

30. اختصار الاخبار ص 30

31. محمد العابد الفاسي : الخزانة العلمية بالمغرب ص 17.

32. الخزانة العلمية بالمغرب ص 19.

33. ذكر محقق كتاب الاحاطة ان مكانها لا يزال معروفا الى اليوم بغرناطة حيث يقع تجاه الكنيسة العظمى التي انشئت على موقع المسجد الجامع، (الاحاطة 36/3 (هامش))

34. ترجمته في الاحاطة 506/1 - 513:

وقد تخرج من هذه المدرسة العظيمة جمهرة من اكابر العلماء، كانوا آخر اشعاعه في سماء الثقافة الاندلسية قبل ان يسيحوا في ديار المغرب، فينقلوا اليها علومهم وآدابهم وفونهم ويثيروا فيها نهضة علمية واسعة.

وقد كانت عناية الملكين يوسف الاول ومحمد الخامس بهذه المدرسة عظيمة، حيث اجريا المرتبات على العلماء والمعلمين والمؤدبين بها، وأوليا فيها وظائف كثيرة، واستقطبوا اليها مشاهير العلماء والقراء، ولقد قام لسان الدين بن الخطيب بمجهود كبير في البحث عن العلماء والتنبيه عليهم ونقلهم الى غرناطة [35]. يقول عند ترجمته لمحمد بن عبد الولي العواد (ت 750): " انه طلب للتصدير للاقراء فأبى لشدة انقباضه فنبهت بالباب السلطاني على وجوب نصبه للناس فكان ذلك في شهر شعبان من عام وفاته " [36].

ومن اساتذة المدرسة النصرية من المفسرين والقراء نذكر : ابا القاسم بن جزي [37] وابن لب [38] ومنصور الزواوي [39].

والى جانب مدرسة غرناطة هناك مدرسة غير مشهورة كسابقتها هي مدرسة مالقة، ومما لا شك فيه ان مالقة قد لعبت دورا فكريا غاية في الاهمية على مدار تاريخها الاسلامي وكان مسجدها الجامع من اكثر مساجد المملكة النصرية شهرة. وتدل بعض كتب التاريخ على وجود مدرسة عظمى أو جامعة مالقة كانت مقامة بالمسجد الجامع [40]. وقد قام بالتدريس فيها كثير من العلماء والفقهاء والمقرئين، ولا شك ان علم القراءات والتفسير كانا يتصدران قائمة المواد المدروسة بها نظرا لما انجبته مدينة مالقة من مقرئين ومفسرين افذاذ، تزخر باسمائهم كتب التراجم نذكر منهم ابن الزيات الكلاعي (ت 728) ومحمد بن يحيى الاشعري (ت 741) وغيرهما [41].

---

35. ينظر مثلا الاحاطة 27/2.
36. المصدر السابق 33/3.
37. الكتبية الكامنة ص 96.
38. الاحاطة 253/4.
39. المصدر السابق 325/3.
40. د. محمد عيسى: تاريخ التعليم في الاندلس ص 386.
41. انظر ترجمتيهما في قسم تراجم القراء.

وبالمقارنة مع المغرب لم تكن بالاندلس مدارس كثيرة، فكانت مختلف العلوم تدرس بالمساجد. يقول المقري [42]. وليس لاهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرؤون في المساجد.

ثالثا : الكراسي العلمية بالمساجد: مساجد فاس .

لم يحد ظهور المدرسة في القرن الثامن من نشاط المسجد التعليمي، الا انه تأثر بنظامها التعليمي واتجاهه، ابتداء من منتصف القرن الثامن حيث تدخل المخزن وحور نظام التعليم فيه ليصبح على شاكلة التعليم بالمدرسة، وذلك باحداث الكراسي الدراسية للطلاب والوعظية للعامة ينفق عليها من احباس خاصة، وبتحبيس خزائن الكتب على المساجد لفائدة طلاب العلم.

وكان على رأس هذه المساجد جامع القرويين، الذي اعتبر بحق ام المساجد والجوامع واساسها. فقد كانت مدينة فاس في المائة الثامنة قبلة انظار الملوك والامراء ومهبط الكتاب والوزراء ومحط رحال كبار العلماء والادباء والقراء ومأوى ارباب النبوغ من اهلها والغرباء، ويرجع سبب هذا الاستقطاب الواسع الى جامع القرويين الذي يمكن القول بانه كان يمثل جامعة العلم الأولى بفاس. [42].

ولاعطاء نظرة عامة عن اهتمام الكراسي العلمية بالمساجد بكتاب الله العزيز سأقتصر على الحديث على مساجد فاس واهم كراسي التفسير والقراءات التي كانت تعمرها في القرن الثامن.

فقد كانت هذه الكراسي العلمية مخصصة لمختلف التخصصات، وكان على رأس هذه الكراسي كرسي التفسير، وقد اشارت المصادر التاريخية الى:

1 - كرسي ابي الربيع سليمان الونشريسي (ت 705) [43].

2 - كرسي المدرسة المتوكلية : للتفسير والحديث، وقد كان من اوائل من درس على هذا الكرسي قاضي القضاة السفير المقري [45] (ت 758) ثم الفقيه سيدي محمد الخديم [46].

---

42. نفح الطيب 205/1.

43. الكتاب الذهبي، جامعة العرويين في ذكراها المائة بعد الالف، وزارة التربية الوطنية 1960 ص 164.

44. تراجع ترجمته بقسم تراجم القراء

45. ترجمته في الاحاطة 136/2 والتعريف لابن خلدون ص 59 والديباج المذهب ص 264.

46. د. عبد الهادي التازي: جامع القرويين 386/2.

3 - كرسي مدرسة الابارين للتفسير والحديث، وقد شهد حركة علمية نشيطة لانه على مقربة من جامع القرويين ومدرسة العطارين [47]

4 - كرسي مسجد الاندلس، وقد كان في صدر الكراسي الصباحية به كرسي التفسير الذي كان موضعه في الجانب الغربي من المسجد عن يمين الداخل من باب (اشنيخن) الذي يقابل الزنقة التي فيها مدرسة الصهريج [48] وقد ظل هذا الكرسي محل تنافس بين العلماء والمفسرين نذكر منهم الفقيه الشيخ احمد بن علي الزموري [49] وقد كان يعتمد تفسير الفخر الرازي [50].

5 - كرسي ابي الحسن المرمري [51] رشحه فيه ابو عنان دون تحديد مسبق للمادة المعالجة والمدروسة، ولا شك ان التفسير والقراآت كان لهما النصيب الاوفر والمكانة الأولى.

وبعد هذه الفترة بقليل، كان هناك كرسي حرز الاماني بمسجد الشرفاء بفاس. [52].

ويلاحظ اننا لا نظفر في هذا العصر بالوفرة التي صارت لهذه الكراسي فيما بعد، ولعل السبب في ذلك زهد بعض علماء القرن الثامن في مثل هذه المظاهر التي يرون انها مستحدثة ومبتدعة، فقد جاء في المدخل لابن الحاج (ت 738): "وما رأيت احدا من علماء المغرب وفضلائهم يقعدون على حائل دون جلسائهم" [53].

وذكر الونشريسي (ت 1014) ان اتخاذ الكراسي واحداثها في المساجد للاقراء من اعظم البدع [54].

اما في الاندلس، فبالرغم من وجود نصوص متعددة تنص على ان علمي القراءات والتفسير كانا يتصدران جملة العلوم المدروسة الا اننا لم نجد اثرا لذكر كراسي علمية خصصت للتفسير او القراءات كما هو الشأن بفاس.

---

47. جامع القرويين 388/2.
48. جنى زهرة الآس ص 95.
49. سلوة الانفاس 318/3 ومجلة "البحث العلمي" الصادرة عن معهد البحث العلمي بالرباط، عدد يناير 1966 ص 250.
50. جامع القرويين 389/2.
51. المقري: ازهار الرياض في اخبار عياض (القاهرة 1942) 27/3.
52. حجي . الحركة الفكرية 119/1.
53. المدخل 191/1.
54. المعيار المعرب 380/2.

وهكذا تبقى مدينة فاس بجامعها العتيق ومساجدها المتعددة موطن مختلف الكراسي العلمية التي تمثل وتبرز مدى التفوق العلمي والدراسي بها.

رابعا : الزوايا

لم يقتصر التعليم القرآني على المسجد والمدرسة والكتاب، بل وجدت مؤسسات اخرى كان يتلقى فيها العلم الى جانب الاعراض الاخرى التي اسست من اجلها، ومن هذه المؤسسات الزوايا والربط.

والزاوية تطلق على مسجد خاص بطائفة من الصوفية او ضريح لاحد الاولياء، وقد كان المغرب المريني يستعمل كلمة الزاوية للدلالة على مؤسسات تشيد برسم استقبال الواردين عليها لا يوائهم، وذلك ما يشرحه ابن مرزوق في قوله: " والظاهر ان الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لارفاق الواردين واطعام المحتاج من القاصدين. " (55).

واذا كانت الزاوية في القرن الثامن قد وضعت اصلا لايواء المحتاجين، فإن البحث في ثنايا النصوص التاريخية قد امدنا بما يدل على ان الزوايا كانت ايضا محط تلقين القرآن الكريم ومدارسته، وقراءة الحزب الى جانب علوم اخرى، وهو ما يدفعنا للقول بان الزاوية المرينية قد ساهمت بدورها في اثراء المدرسة القرآنية، وان كان التعليم بها قد شمل المراتب الابتدائية فقط التي هي مرتبة الكتاب.

ففي سلوة الانفاس عند ترجمة العربي بن محمد المومناني المعروف بالتكناوي المدفون بخلوة عبد القادر الجيلاني: " واما هذه التي يسمونها بالخلوة انما هي زاوية بنيت لقراءة جزب القرآن وامر ببنائها الامير ابو سالم المستعين بالله المريني، وتم بناؤها في أواخر رمضان عام 762، ورتب فيها طلبة يقرؤون القرآن ويختمونه بطول سبعة ايام " (56).

كما ذكر الكتاني في ترجمة ابن عاشر السلاوي الصوفي انه بعدما انتقل الى سلا نزل من رباط الفتح بزاوية الشيخ ابي عبد الله اليابوري، فاسكنه خلوة بها لاقراء الاولاد القرآن، وقد كان ابن عاشر مستقلا زمانا بتعليم كتاب الله تعالى " (57).

---

55. المسند الصحيح الحسن ص 413.

56. سلوة الانفاس 219/1.

57. المصدر السابق 276/2.

وافادنا الكتاني مرة اخرى في ترجمة احمد الوزير الغساني [58]، ان هذا الاخير كان يؤدب الصبيان بزاويته ويؤم الناس بها في الصلاة.

وفي فترة لاحقة كان بزاوية ابي عبد الله الخياط بجبل زرهون ما يزيد على الالف من حملة القرآن [59].

وقد انتشرت الزوايا في المغرب المريني انتشارا واسعا وانشئت بها الكتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الدين ومبادئ التفسير وغيرها [60].

وقام السطان ابو عنان بانشاء العديد من هذه الزوايا نذكر اهمها فيما يلي:

– زاوية النساك بسلا وقد تم بناؤها في 27 شعبان 757، وصفها ابن الحاج النميري في فيض العباب [61].

– الزاوية المتوكلية: نسبة الى عنان الملقب بالمتوكل على الله، ويرجع تأسيسها الى عام 754. [62].

– زاوية انملي بتازة: ذكرها الناصري في الاستقصا [63]، وقد قدم المستشرق الفرنسي جورج كولان Georges Colin عرضا عن هذه الزاوية بمجلة هسبريس [64]، وتوصل من خلاله الى ان المدرسة المعروفة الآن بوادي انملي هي زاوية انملي التي بناها ابو عنان.

اما بالاندلس فلم نعثر على ما يدل على وجود آثار للتعليم القرآني بالزوايا.

---

58. المصدر السابق 299/2.

59. الاعلام للمراكشي 245/8.

60. لقد كان النشاط التعليمي بالزوايا او الخوانق بالمشرق في القرن الثامن احسن حالا مما كان عليه الامر بالمغرب، فقد ذكر المقريزي (ت 845) في كتابه الخطط. "وكانوا يجعلون في تلك الخوانق دروسا في الفقه والدين والعربية والتصوف والحديث، فقد جعل الملك المظفر بيبرس دروسا في الحديث ويسمى لذلك مدرسا، وعنده عدة من المحدثين والقراء." (276/4)
وقال ايضا." وكانوا كثيرا ما يلحقون بالخوانف كتاتيب لتعليم الاطفال المسلمين القرآن والكتابة والقراءة مع تجويد الخط العربي." (285/4).

61. فيض العباب ص 42

peris 1Michaux Bellaire: Essai sur l'histoire des Confreries marocaines in Hes -

62. روض النسرين ص 27 ، وفيض العباب لابن الحاج ص 47

63. الاستقصا 39/2.

La Zaouiya merini de d'Anemli à Taza in Hesperis 3 trim.64
(1953) p 528

خامسا : الرباطات.

الرباط في الاصل مصدر رابط، قال في المصباح [65] : "الرباط اسم من رابط مرابطة، اذا لازم ثغر العدو." وقد اطلق لفظ الرباط على نوع من التكنات العسكرية التي تبنى على الحدود الاسلامية وقرب الثغور، يقيم فيها المجاهدون (المرابطون) للدفاع عن دار الاسلام. وقد كانت الرباطات مأوى يلجأ اليها العلماء الرحالون وطلاب العلم الذين ينتقلون بين ارجاء العالم الاسلامي طلبا لعلوم الدين. [66].

والتعليم بالرباط هو "شرح لاصول التعليم بالكتاب فهناك تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب الفقه وشعر المواعظ" [67] وكان تعليم القرآن ومدارسته، وقراءة الحزب، من اهم ما يعنى به رواد الربط، فهذا رباط شاكر بدكالة قال فيه صاحب الإعلام: "انه بني لقراءة حزب القرآن، امر ببنائه السلطان المستعين بالله المريني، ورتب فيها طلبة يقرأون القرآن" [68].

وكانت الرباطات قلما تخلو من خزانة كتب يرتادها طلاب ا لعلم، كما كانت تتوفر على عالم يقوم بتدريس بعض العلوم وعلى رأسها تفسير القرآن الكريم.

وفي الاندلس كانت هناك رابطة العقاب الموجودة خارج غرناطة، ورابطة اللجام، وقد دخلهما الرحالة ابن بطوطة، وحاول بروفنسال Levi Prevencal تحديد موقعهما [69].

---

65. المصباح المنير لاحمد بن محمد الفيومي (ت 770)، المكتبة العلمية بيروت 215/1

66. وقد ذكر الامام ابن العربي انه لما خرج من الاندلس قاصدا المشرق دخل بغداد ونزل برباط ابي سعد بازاء المدرسة النظامية، واجتمع فيه بالامام الغزالي، فقرأ عليه ولازمه.
(نفح الطيب 338/1 وازهار الرياض 91/3)

67. عثمان الكاك . محاضرات في مراكز الثقافة بالمغرب . نشر جامعة الدول العربية، تونس 1958 ص 18.

68. الإعلام 273/3.

69. Le voyage d'Ibn Battouta dans le reyaume de Grenade in Melanges William Marcais, Paris 1950 pp 205 - 223